نقش على كلس أكتشف في زيويه يصور مراسيم تقديم بعض الهدايا إلى أحد ملوك المانا – القرن السابع ق. م. من فنون كوردستان الشرقية – متحف لوفر

وعلى ما يظهر فإن المجموعات الهندو- إيرانية من السكس Scyth حلفاء آشور أعاقوا تقدم القوات الميدية- البابلية المهاجمة على نينوى في محاور كوتيوم – أوربيللوم ثم إستقروا بعد سقوط العاصمة الآشورية بأمر الميديين في هذين الإقليمين رغم ملاحقة دارا الأخميني لإتحاداتهم القبلية في الأنضول والبلقان حتى جنوب روسيا في فترة لاحقة(٣٥).

وعندما قطعت القوات المقدونية البادية السورية وعبرت نهر دجلة قرب پيش خابور (فيشخابور) في ٣٣١-٣٣٠ ق.م. إتجه أليكساندر المقدوني إلى

= في بابل أربعين عاماً. وفي الفصل الأول لحد الفصل السادس من القسم الثالث للعهد القديم نقرأ أخباراً عن نبوة دانيال وأصدقائه تحت ظل حكم نبوخد نصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م.) وبلشاصر وكل من كورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ق.م.) ودارا الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م.) الإخمنيين، كما أن هناك أخباراً تتعلق بحوادث تتويج داريوش. ودانيال خدم في البداية بقصر نبوخذنصر أي في بداية القرن السادس قبل الميلاد ولانعتقد أنه شاهد فتح كورش لبابل عام ٥٣٩ ق.م. بينما عاش عزرا بعده بقرن وذلك فيما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وكان من أشهر أئمة قومه المشهورين حيث رجع بأمر من السلطات الأخمينية إلى أورشليم وأشتهر هناك بإسم أب اليهودية أو موسى الثاني لأنه أعاد كتابة التوراة (الكتب الخمسة من العهد القديم) راسماً فيها الصيغ الجديدة للدين اليهودي. ففي سفرَي عزرا ونحميا للكتاب المقدس إشارة إلى أن عزرا كان قد وصل إلى بلاده في السنة السابعة لحكم أرتخشير (أردشير)، ولانعرف أي أردشير هذا ولعله ذلك الذي شاهده كسينوفون عام ٤٠١ ق.م. في معركة كوناكسا قرب فلوجه [راجع أناباسيس]، لكن الحقائق التأريخية تشير إلى أن فترة حكم عزرا ليهودا تسبق فترة حكم نحميا التي كانت فيما بين أعوام ٤٤٥-٤٣٣ ق.م. ... أما أردشير الثاني الإخميني فقد حكم بين أعوام ٤٠٤-٣٥٨ ق.م. أي بعد حكم نحميا بنصف قرن، بناءً على هذا فإن عزرا كان لابد وقد وصل أورشليم خلال الفترة النهائية لحكم نحميا حاملاً معه إجازة رسمية من السلطات الأخمينية على أنه معترف به ككاتب قانون رب العالمين أو كسكرتير ملكي للشؤون الدينية لليهود الذين يعيشون غرب نهر الفرات. وفي هذا الدور ظهر التصوف اليهودي الذي يتجلى في خبرة حزقيال أحد الرجال الذين حملهم نبوخذنصر في أسره الأول. وفي الواقع يجب أن نتحقق من كل أسفار العهد القديم، لأن اليهود لم يقدموا لمدنية العالم القديم سوى شيئين أظهرت الأدلة التأريخية عدم إصالتهما وهما العهد القديم غير الدقيق من ناحية الحوادث التأريخية والمستمد كثير من أخباره من آداب شعوب وادي الرافدين ومصر وكنعاني سورية، والثاني المعتقد اليهودي المزيج من أصول الأديان الحورية والمصرية والآرية والبابلية. للإستزادة من هذه المعلومات راجع الباب الثالث من مؤلفنا تاريخ الشرق القديم، بغداد ١٩٨٨، بمشاركة الدكتور سامي سعيد الأحمد.

(٣٥) بعد إندحار قوات مملكة مانا التي كانت قد أسسها الكوتيين في المناطق الواقعة على منابع نهر الزاب الصغير وحالفت آشور في التصدي للبابليين في معركة كابلينا على نهر الفرات دخل الميديون إلى بلاد مانا بعد أن قضوا على زعماء السكيث كما ذكر. وفي هذه الفترة لم تكن في الشمال وعلى محور أتروباتينا (أذربيجان) أي مانع من زحف القبائل الإسكيثية إلى سهل أربيل ثم إلى كركوك، لذلك فقد إتخذوا محاور كل من نغده- شنو وسردشت- كويسنجق لأجل الوصول إلى غايتهم. وعلى حد معلوماتنا فإن فلول السكيث إلتقوا بالزاكروتيين (وهم صنف من الميديين) في سهول أربيل وكانوا قد سكنوها بعد إنهيار الإمبراطورية الآشورية، فإشتهرت من بين طبقة نبلائهم أسرتان ملكيتان حكم أفرادهما كلاً من أربيل وكركوك خلال العصر الفرثي.

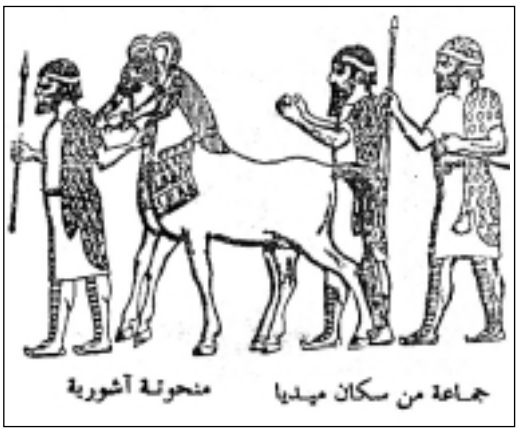

gvgml< gab. gam^{e}la) Gaugamela الآرامي = تل جمل) لكي يلتقي غريمه داريوس الثالث الذي ترك المعركة وإلتجأ عبر جبال كردستان الى شمال إيران. وبعد عبوره نهر الزاب الصغير إقترب اليكساندر من منابع النفط في أرابخا وهنا أشار الكاتب اليوناني بلوتارخ(٣٦) إلى أن «أليسكاندر توجه بعد معركة Gaugamela قرب أربيلا نحو بابل عن طريق أرباخي Arpahi (ويقصد أرابخي أو أرابخا ودوّنه بطليموس بصيغة Arrhapa) حيث أصلح قلعتها (أي قلعة كركوك)» ويضيف قائلاً «أنّ على أرض أرباخي تشاهد نيران مشتعلة دائمة وتغطيها أنهار من النفط» وهذا الكلام ينطبق تماماً على موقع عرفه المعاصر.

أما موقع بابا گورگور فقد أورد بلوتارخ إسمه بصيغة كوركورا Korkoura على أنها مع أرباخي تشكل جانباً من ساتراب ميديا، وقد أضاف الميديون والسكز على نهاية الإسم اللاحقة الزاغروسية المحلية ak, -uk- فغدت التسمية كوركورك Korkour - ak أو Korkour - uk كوركوروك(٣٧) لذلك فلا علاقة لهذا الإسم بالتسمية الآرامية للمدينة (كرخا د بيث سلوخ) كما يعتقد ذلك بعض الكتاب. ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن بطليموس في نهاية الألف الأول قبل الميلاد حدد موقع سكنى الأرابخيين في الجهة الشمالية من ديمتو (القلعة).

فإذا كانت مدينة كوركورك (كركوك) قد أصبحت مركزاً من مراكز ساتراب ميديا منذ القرن السابع قبل الميلاد، فإن الإسكيث (السكس)(٣٨) لابد وقد حلوا فيها في هذه الفترة بأمر من الميديين وكان الإندماج الثقافي بين هاتين الشريحتين من المستوطنين أمراً طبيعياً لأنهما إنحدرتا من نفس الأروقة الإيرانية عرقاً ولغة. فبعد ظهور المعالم اللغوية المتأثرة بالمفردات الهندية الآرية منذ الألف الثاني قبل الميلاد في هذا المستوطن الكوتي –الحوري – الميتاني القديم التي وضعت أقدم قاعدة للغة

(٣٦) راجع: بلوتارخ، حياة أليكساندر Plutarch., Alex., 35

(٣٧) شوهدت هذه اللاحقة أحيانا بصيغة (كه ka– أو كو ku –) على الأسماء الإيرانية من نمط: Arstaka, Artuka, Ba-guka, Mazdaka, Xfiarka, Arfiaka, Dahyauku راجع بالروسية الصفحة ٦٩٢ من المرجع التالي:

Б. А, Грантовский, О Распространении Иранских Племен на территории Ирана, История Иранскова Государство и Ккультуры, Москваб 1971 .

(٣٨) كان السكس أنسباء الفرث الذين أنهوا الحكم السلوقي في العراق، وقد نزحوا إلى وادي الرافدين من بلاد سكيثيا وخوارزم في فترتين متفاوتين، راجع موضوع أسلاف اللان في التأريخ من السكيث والكيميريين والسرمات في الفصل الثالث من كتابنا «لقاء الأسلاف»، لندن ١٩٩٤، ص ١٠٧– ١٣٩.

تمثال أمير فرثي من القرن الثاني ق. م.
متحف طهران

الكردية دخلت إلى جذور هذه القاعدة بعد مرور ألف عام التأثيرات الثقافية الإيرانية التي حددت تقاليد صرفها ونحوها، وهذه الظاهرة لابد وقد سادت لأول مرة في العصر الميدي وتكامل خلال العصر الهللينى. ومنذ عام ١٢٨ ق.م. نشأت في إقليم أرابخا مملكة بدأت تقودها أسرة إيزدين السكسية وإشتهرت المناطق الجنوبية الحارة منها في هذه الفترة بإسم گرمكان Garmakan (گرميان الكردية) الذي تحول إلى جرمقان (جاراميقا أو جرميق) في العربية، أما مناطقه الوسطى المعتدلة التي شكلت كركوك مركزها وإشتهر عند السريان بـBêgermê فسميت بـ(شهرا– زور) تيمناً بألقاب ملوكها التي إشتهرت بصيغة (شهرا أو شهرات) حيث بنى أحدهم كذلك مدينة شهراكرت flahra - kart على نهر الزاب الصغير التي تعرف عند الكُرد بإسم پردي Pirdê (القنطرة) وسجله الآراميون بصيغة شهرقذ (من شهراكرت) ثم إعتقد العثمانيون في وقت لاحق بأن الزاب تحريف كُردي لكلمة الذهب العربية فسموا البلدة خطأ آلتون كوبري (القنطرة الذهبية). وأطلق الآراميون تارة على إقليم Garmakan (بيث گرماي) الكنية التي أخذت صيغة باجرمي في العربية وتارة أخرى (شهرزفر أو سيارزور) وترجمه السريان إلى (شهرزفر) إلا أن البيزنطيين ظلوا يطلقون على مركزه تسمية Chalchas Toi Izdem = XaAXao Toi IÇasµ (قلعة بيت إزدين)[٣٩] التي حلت محل التسمية الحورية ديمتو كيرخي شيلواخو (قلعة مدينة بني شيلوا) فإذا كانت الملكة الأربيلية هيلينا وأخوها وزوجها في آن واحد الملك مونوباز الوثنيان السكسيان قد تقبلا اليهودية خلال هذه الفترة وأطلقا على وليديهما كنية إزاتيس (عزة) التي عممت فيما بعد على أغلب ملوك Adiabênê الذين دفنوا في أورشليم[٤٠]، فإن أسرة إزدين التي شاركت في تقوية الشروط القومية للكرد على الأقل كانت محتفظة لتقاليدها المزدية الإيرانية Mazdaizim التي جسّدت الألوهية

(٣٩) حول الجذور القديمة لتسمية (شهرزور) راجع دراسات إرنست هرتسفيلد:
E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden, 1968.

(٤٠) دفنت هيلينا عام ٥٠ م في أورشليم ثم لحقها كل من مونوباز وعزة الأول. حول هذا الموضوع راجع كتاب «الحرب اليهودية» ليوسف الفلاوي: Josephus, Ant. Jud. XX, 35 and Bell. Jud V, p.253 وبناء على دراسات Koshaker فإن الزواج الداخلي بين أعضاء الأسرة الواحدة عند السكس وكذلك عند الميديين في أرابخا كان عرفاً سائداً (راجع أرنست هرتسفيلد). فأغلب الملوك هنا تزوجوا بأخواتهم أو بناتهم، وجدير بالإشارة إلى أن هذا العرف كان كذلك سائداً بين الفراعنة والملوك الحيثيين والفرث والساسانيين وأغلب المجتمعات القديمة.

بنور السماء، وما أن حل القرن الأول الميلادي إلا ونجد أفراد الأسرتين الملكيتين قد تركوا تقاليدهم الدينية الوثنية واليهودية القديمة وجعلوا المسيحية ديناً رسمياً للدولة في هذا القسم من ميديا الذي إشتهر منذ هذه الفترة بـ(شهرازور) حيث أصبحت كركوك تشكل فيه مركزاً لأقدم مطرانية لا على مستوى ميديا بل في عموم الشرق، وظهر من وجهائها الكرد أساقفة خدموا الكنائس المسيحية بإخلاص أمثال بار شبا الشهرزوري ويعقوب لاشوم والجاثليق صبر يشوع الذي تربى راعياً في الجهات الجبلية من شهرزور وأصبح أسقف كنيسة لاشوم (لاسين قرب داقوق بجنوب كركوك) ونرسي الذي ولد في شهرقذ (آلتون كوبري) وكذلك رئيس جيمع كنائس الشرق الجاثليق شاهدوست الملقب بناثنيال الشهرزوري الذي صلبه شابور الساساني عام ٣٤٢م مع ١٢٨ كردياً مرتداً من ديانته الزرادشتية حيث سماهم كتاب العصر الإسلامي كالمسعودي بالجرامقة (الكلمة المعربة لگرمكان) ولعل توماس المرجي يمثل آخر عنقود من الكرد المسيحيين الذين أبقوا لنا مدوناتهم الدينية، فقد ولد عام ٨٣٢م بشهرزور (شهرگان) وهو إبن يعقوب الذي ينتمي الى قبيلة الشيروانيين (شارونايه) في منطقة رواندز وعيّن أسقفاً للدير النسطوري في بيث عبهي الذي أسسه يعقوب لاشوم ثم إنتقل إلى مرگه بوسط كُردستان وأخيراً أشغل منصب ميتروبوليتان (مطرانية) بيث گرماي حيث إستقر في كركوك. وبناءً على هذه الظاهرة ومنذ الحكم الملكي السكسي المسيحي أصبحت الآرامية، اللغة التي كان يبشر بها السيد المسيح ومن بعده تلاميذه، لغة الطقوس والمراسيم الدينية في الكنائس والمدارس في كركوك وظلت كل الأعمال التي كتبها مشاهير الكنائس الكُردية من مطارنة وأساقفة جزءا من تراث السريانية الوريثة الشرعية للآرامية.

وعلى كل حال، فإن إقليم شهرزور أصبح منذ العصر الهلليني موطناً رئيسياً للطوائف الكردية حكمها ملوك محليون ثم ساد فيه التنظيم الإداري لإمبراطورية الفرث حمل حكامه لقب (الشاه)، وعندما إنتصر أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية على الإمبراطور أردوان الخامس الفرثي عام ٢٢٤م دخل في حرب مع كورتان شاهي ماديك (مادي ملك الكُرد) قرب كركوك بإقليم شهرزور. ويشير النص البهلوي لكتاب كارنامج أردشيري بابكان إلى أن «الفضل يرجع للجيش الباسل الذي دخل في حرب ضد مادي ملك الكُرد حيث سالت دماء كثيرة فإندحر جيش أردشير»[٤١]. ومنذ أواسط القرن الثالث الميلادي غدت المقاطعات التابعة لكل من شهرزور وبيث گرمي Bêth Garmê تابعة للساسانيين الذين أسكنوا في قلعة مدينتها الرئيسية كرخا (كيرخي) مجموعة من أشراف البيوتات الفهلية (الفيلية) حيث كانوا يسجدون للشمس كل صباح حسب ما مسجل في مدوّنات مطرانيتها، ثم أصبحت هذه المدينة مرقعا شهيرا للإحتفالات الدينية المسيحية، وبعدما علا شأن كنيستها حين اعتبرت من أبرز المراكز الدينية في العالم شهد أتباعها في القرن الخامس الميلادي كثيرا من الظلم

(٤١) جاء النص بالبهلوية كما يلي: «پس أز آن دس سپاه گند زاوول او همكرت او كارثار كورتان شه ماديك فروفرت دس كارثار خزن ريژيشينه بوت وسپاه ارتخشير ستوبيبه پتگرفت إلخ» راجع كل من الترجمة الفارسية لكتاب الكارنامك بتحقيق أحمد كسروي، بهمن ١٣٤٢ والترجمة الألمانية بتحقيق ثيودور نولدكه
Th. Noldeke, Geschichte des Ardachsir i Papakan, Gottingen, 1879.